Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخرى - كما مرَّ بنا - تعنى بالتراجم فى قرن معين أو بالترجمة للمعاصرين.

وتجلّى حينئذ فهم المؤرخين البصير للتاريخ على أنه تاريخ للمجتمع فهمًا لم يسبقوا إليه، كما تجلى تحرّيهم للحقائق التاريخية تحريا جعلهم ينفذون إلى وضع المناهج الدقيقة لكتابة التاريخ، ونختار لبيان ذلك كتبًا أربعة هى: معيد النعم للسبكى المصرى، ومقدمة ابن خلدون نزيل القاهرة لتاريخه، وخطط المقريزى، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى المصرى.

وكتاب معيد النعم قد يلتقى فى غايته بكتاب الجمهورية لأفلاطون وكتاب آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى وما يماثلهما من كتب، تعرض للظواهر السياسية والاجتماعية من الناحية المثالية عرضًا مجردًا من وقائع المجتمع وعناصره التفصيلية. والسبكى يصدر عن نفس الغاية فى بيان الصورة الفاضلة للمجتمع المصرى الشامى العربى وكيف يكون مجتمعا مثاليا، غير أنه لا يعمد إلى النظرة المجردة وبيان الحقائق الكلية مثل الفارابى وأفلاطون، إنما يعمد إلى دراسة جميع العناصر التى تؤلف هذا المجتمع، من السلطان ونوابه وموظفى حكومته موظفًا موظفا وقواد جيشه وأمراء أجناده وقضاته ومن يقيمهم على بيوت الأموال ومراقبة الأسواق إلى العلماء والفقهاء من كل صنف والقراء والمنشدين وخزنة الكتب والوعاظ والقصاص والمؤذنين والصوفية وفقراء الخوانق والزوايا ومعلمى الكتاتيب والنساخين والوراقين والمجلِّدين. ولا يترك صاحب صيد أو زرع وشجر أو تجارة أو حرفة إلا ويرسم له المثل الأعلى فى أداء عمله، حتى البوابين وسائسى الدواب، بل حتى الكاسحين المنظفين للطرق. ومع كل عنصر من هذه العناصر التى بلغت عنده اثنى عشر ومائة يفصِّل ما يطلب فى كل عمل من مثالية سليمة، بحيث يؤدّيه صاحبه على الوجه الأكمل مصوّرًا دائما نواقص هذا الأداء عند مختلف العناصر. وبذلك رسم لنا السبكى صورة المجتمع المصرى الشامى فى وقائعها الحقيقية بكل مساوئها السياسية والاقتصادية والخلقية وما يبتغى لها من كمال متيحًا لنا وصفًا حيًّا لمجتمعه التقطه من مشاهداته وما رآه تحت بصره.

ومقدمة ابن خلدون لتاريخه تحمل منهجًا تاريخيا جديدًا فيه يفسر التاريخ على